

## مُلخَص

كانت فرنسا الاستعمارية تهدف من خلال فتحها للمعتقلات منع الناس من الالتحاق بثورة التحرير ودعمها في إطار استراتيجية قيام المكتب الخامس بوزارة الدفاع بتخطيط سياسة المعتقلات بناءً على معطيات الحرب النفسية ونتائج حرب الهند الصينية، فأرادوا تطبيقها على المعتقلين الجزائريين في مختلف المعتقلات التي من بينها الجرف. وموضوع المقال يتناول أحد أشهر المعتقلات في الجزائر، وأكبرها على مستوى عمالة الشرق الجزائري قسنطينة - كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاث عمالات أي محافظات خلال الحقبة الاستعمارية-. هذا المعتقل هو معتقل الجرف الذي يقع حاليًا في بلدية أولاد دراج - ولاية المسيلة، حيث حددنا موقعه الجغرافي وبدايات عمله كمعتقل وتاريخ غلقه. فقد قدم المعتقلون في ثورة التحرير مساهمة على جانب كبير من الأهمية، لكنها تبقى مجهولة وخفية على الكثير من أبناء الشعب الجزائري، وموضوع المقال جاء ليبين بعض الجوانب الخفية من النضال للمعتقلين في الجرف، إذ تميزت معاملتهم داخل ذلك المعتقل بالقسوة والوحشية والحرمان من أبسط حقوق الاعتقال، فقامت لجنة من بين المعتقلين للدفاع عن حقوقهم، وحمائهم من كل أشكال التعسف والابتزاز وتوجيه المعتقلين نحو الانخراط والوقوف وراء جبهة التحرير الوطني التي تطالب بالاستقلال. وهذا الموضوع يوضح جوانب من الحياة اليومية للمعتقلين في الجرف، وكيف تمكنوا من التخلص من وطأة الاعتقال الثقيلة نفسيًا على الأفراد؟ وبين مدى تماسكهم وإيمانهم بالقضية الجزائرية.

## مُقَدِّمَةٌ

إن الكثير من الناس يعتقدون أن الثورة الجزائرية قد كانت فقط في الجبال والمدن من خلال المعارك والكمائن والاشتباكات والعمليات الفدائية، بل هناك جوانب أخرى خفية من كفاح الشعب الجزائري الأبي داخل السجون والمعتقلات والمحتشدات. ولقد بادرت السلطات الاستعمارية الفرنسية عند اندلاع ثورة التحرير إلى إنشاء المعتقلات، وألقت فيها بالمناضلين الجزائريين والوطنيين، ومختلف الفئات من أجل عزلهم عن الثورة كي لا يلتحقوا بها أو يوفروا لها الدعم والسند. ومن أشهر المعتقلات في الجزائر خلال ثورة التحرير معتقل الجرف في المسيلة، الذي نحاول في هذا الموضوع تسليط الضوء على بعض الجوانب الخفية لكفاح الشعب الجزائري من خلال رصد يوميات الحياة المعاشة داخل معتقل الجرف. فقد افتتح معتقل الجرف في شهر أكتوبر ١٩٥٥ ولم يغلق إلا بعد اتفاقيات إيفيان الخاصة بوقف إطلاق النار وإعلان استقلال الجزائر ١٩ مارس ١٩٦٢، ويقع حاليًا في بلدية أولاد دراج - ولاية المسيلة، ويبعد عن مقر الولاية بحوالي ٢٠ كلم، وقبل ذلك كان عبارة عن سكنات أقامتها السلطات الاستعمارية بغرض إنشاء قرية فلاحية متخصصة في زراعة أشجار الزيتون، فحينما انطلقت ثورة التحرير وتسارع الناس إلى الالتحاق بالثوار والانخراط في



## الثوار الجزائريون داخل المعتقلات الفرنسية صور خفية ومجهولة لكفاح الشعب الجزائري نظرة على يوميات معتقلي الجرف

خميسي سعدي

أستاذ مشارك التاريخ الحديث والمعاصر  
قسم التاريخ  
جامعة المسيلة - الجمهورية الجزائرية



### الاستشهاد المرجعي بالمقال:

خميسي سعدي، الثوار الجزائريون داخل المعتقلات الفرنسية: صور خفية ومجهولة لكفاح الشعب الجزائري "نظرة على يوميات معتقلي الجرف". - دورية كان التاريخية. - العدد الثاني والعشرون: ديسمبر ٢٠١٣. ص ٧٩ - ٨٣.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية المواطن .. عربية الهوية .. عالمية الأصد

التحية كلما مر بهم، وبيادر إلى الركل والرفس والصفع والضرب على القفا مع الكلمات الفاحشة والبذيئة.<sup>(٩)</sup> كما كان يجبر المعتقلين وحتى المرضى منهم على حضور المناداة ثلاث مرات في اليوم، وتحية العلم الفرنسي، وفي الشتاء يجبرهم على الوقوف في ساحة المعتقل ساعات طويلة حتى ينال منهم التعب فيسقطون على الأرض تباغاً. وبلغت بهذا الضابط الغطرسة أنه كان يأمر الجند بإخراج المعتقلين من غرفهم كل مساء لتحية العلم الفرنسي إجبارياً.<sup>(١٠)</sup> وقد وصل المكر بهذا الضابط إلى أنه كان يقوم بنشر أخبار عن بعض المعتقلين الجدد، بأن فيهم مخبرين يعملون لصالح الإدارة، مستهدفاً بذلك زرع الشك والبلبلة في صفوف المعتقلين، لإرساء جو يتسم بفقدان الثقة بين المعتقلين ويدفعهم للانطواء والعزلة، مما يعطي فرصة لهذا الضابط على التحكم في زمام المعتقلين.

## (٢) المطالبة بالحقوق

لم يقف المعتقلون مكتوفي الأيدي أمام هذه التصرفات الرامية إلى كسر وحدتهم وزعزعة إيمانهم بالقضية الجزائرية، فبادروا إلى الاتصال بإدارة المعتقل وكتابة العرائض والرسائل احتجاجاً على الأوضاع المزرية التي يعيشون فيها منها، الممارسات القمعية وحول نوعية الأكل، وحول الأوضاع المعيشية بصفة عامة إلى مدير المعتقل، وإلى رئيس بلدية المسيلة المختلطة وإلى الحاكم العام بالجزائر.<sup>(١١)</sup> واستغلت لجنة المعتقلين السرية حادثة قام بها المسير المالي لدكان المعتقل المسعى "فودور" (Faudour) تمثلت في رفع أسعار المواد الغذائية، والمواد ذات الاستهلاك اليومي بدرجة كبيرة، مما أثار استياء المعتقلين وتذمرهم، فدفعت اللجنة بعض عناصرها للاعتداء على المسير المالي وصور بأن الأمر رد فعل على رفع الأسعار. حادثة الاعتداء على المسير المالي أثارت الحماس في صفوف المعتقلين، وهياتهم للاتحاد، والالتزام بالإضراب عن الطعام الذي دعت إليه لجنة المعتقلين السرية لمدة ثلاث أيام احتجاجاً على نوعية الطعام المقدم، وعلى ارتفاع أسعار الدكان، وكذا على مختلف الإجراءات العشوائية التي كان يتعرض لها المعتقلون.<sup>(١٢)</sup>

وقد اضطرت إدارة المعتقل بعد حركة الإضراب الطلب من المعتقلين تعيين أفراد عنهم للتنسيق معهم، والاتصال بهم عند الضرورة، ورغم هذا الاعتراف في حق المعتقلين في تكوين لجنة منهم، إلا أن إدارة المعتقل سرعان ما بادرت إلى تحويل أعضاء اللجنة إلى معتقل "افلو" رفقة الأفراد الذين كانوا وراء إثارة الاحتجاج وتسبب الإضراب، ولكن المعتقلين أخذوا احتياطاتهم في حال كشف اللجنة، أو تحويل أفرادها، أو تسريح بعض منهم، وذلك بتشكيل لجنة سرية بدون علم الإدارة تقوم بشؤون المعتقلين.<sup>(١٣)</sup>

وهكذا؛ سقط مخطط فالانغا وأعووانه الذي كان يهدف إلى تقسيم المعتقلين وزرع الشك والريبة بينهم، حتى يتمكن من السيطرة عليهم، هذا الضابط لم تتوقف إساءته للمعتقلين فقط بل تعدت حتى إلى زملائه، فهذا مدير المعتقل ضاق من تصرفاته وكتب به عدة تقارير تفيد بخطورة وجوده في المعتقل، حيث أصبح

صفوفها، ردت السلطات بإنشاء معتقل الجرف على مستوى الشرق الجزائري.<sup>(١٤)</sup>

## (١) الحياة العامة داخل معتقل الجرف

إن الحديث عن الحياة العامة داخل المعتقل يدعونا للتطرق إلى الحالة العامة للمعتقل التي كان يعيش فيها المعتقلون، وذلك من خلال تقرير أعدته لجنة برلمانية خاصة للتحقيق في الظروف المساوية التي يعيش فيها أنصار المنظمة العسكرية السرية (O.A.S) المعتقلون في الجرف. ولقد وصف التقرير المعد في شهر أكتوبر ١٩٦١م الحالة العامة للمعتقل بأنها قدرة، وأن الفضلات والقمامة منتشرة في كل الزاوية، والجدران تم تدهيس طلائها، والأفرشة تعفنت، والمعدات الكهربائية أتلفت، وبصفة عامة فإن هذا المكان غير مناسب تماماً للاعتقال.<sup>(١٥)</sup> هذا التقرير أعقبه نقاش عام في البرلمان الفرنسي دفع ببعض النواب إلى مساءلة الحكومة حول هذه القضية والتنديد بموقف الحكومة، وتدخل أحد النواب من أصول جزائرية لينتقد عنصرية زملائه في التعامل مع ملف المعتقلين، حيث قال: "لقد ذكرت الظروف التي تم فيها اعتقال أوروبيين في معتقل الجرف، كنت أتمنى لو تتكلم بالتساوي على عشرات الآلاف من المسلمين معتقلين به في ظروف مأساوية وفي معتقلات أخرى".<sup>(١٦)</sup> هذا عن شهادة الفرنسيين أنفسهم عن الوضعية العامة لمعتقل الجرف وفي تقارير رسمية.

أما عن الجانب الجزائري، فمختلف الشهادات التي استقيناها حول طبيعة الحياة اليومية في معتقل الجرف تفيد بأنها كانت تتميز بصعوبة وقسوة وصلتا إلى حد لا يمكن تصوره، وأدت ببعض المعتقلين إلى فقدان العقل وحالات من الجنون والانتحار.<sup>(١٧)</sup> فالمعتقلون كانوا يعانون من قلة اللباس،<sup>(١٨)</sup> فقد وجد من بينهم من كان يرتدي ملابس النوم وآخرون يغطون أجسادهم بخرق بالية من القماش في عز الشتاء، وينامون داخل حجرات ضيقة بأعداد تفوق طاقة استيعاب الحجرة الواحدة على حصر من الحلفاء، ويتدثرون بغطاء مهترئ لا يقي من برد الشتاء الفارس.<sup>(١٩)</sup> ومما زاد في صعوبة الأمر الحالة الصحية للمعتقلين التي كانت متدهورة، إذ وجد بين المعتقلين أفراد مصابين بأمراض معدية مثل السل الذين لم تتدخل إدارة المعتقل لعزلهم عن بقية المعتقلين، أو نقلهم إلى المستشفيات، وانتشار مرض "الزحار" (Dysenterie) بين الأفراد الذي يؤدي في حالات عديدة إلى الوفاة.<sup>(٢٠)</sup>

وقد ابتكرت إدارة المعتقل أسلوباً خاصاً في استقبال المعتقلين الجدد، حيث يقف الجنود في صفين متوازيين ويمر في وسطهم المعتقلون الذين يتلقون ضربات متعددة ومختلفة بقبضات اليد، وصفعات على الوجه والقفا، والركل والرفس، وأحياناً بأخماس البنادق ليبيّنوا لهم صورة أولية عن طبيعة المعتقل.<sup>(٢١)</sup> وبالغ ضابط الشرطة المساعد المسعى "فالانغا" (Fallanga) في تطبيق هذا الإجراء بشدة، حيث كان يعمل على إهانة المعتقلين واستفزازهم يومياً، ويسارع إلى صفعهم بسبب أو بدون سبب، وفرض عليهم تقديم

### (٤) الوضعية الصحية للمعتقلين

عرفت الوضعية الصحية للمعتقلين تدهورًا كبيرًا أثرت على حياتهم خاصة بعد استقالة الطبيب المتعاقد جاك توريس (Jacques Torres) وتوقيف الممرض "بوماليت السعيد" من طرف الجيش يوم ٢٧ أوت ١٩٥٩م، هذا الوضع استغلته لجنة المعتقلين لتضغط على إدارة المعتقل عن طريق دفع الموقوفين إلى الاحتجاج على عدم وجود الطبيب المداوم وكذا الممرض المؤهل، ومما زاد في وحدة المعتقلين والتفافهم حول هذا المطلب هو وفاة أحد المعتقلين. وفي هذا الإطار توجهت لجنة المعتقلين إلى مدير المعتقلين ومعها أربع برقيات موجبة إلى كل من: ( الصليب الأحمر في باريس - الصليب الأحمر الدولي - مدير المصلحة المركزية لمراكز الإيواء - المندوب العام للحكومة في الجزائر) جاء فيها: "توفي أحد المعتقلين في الجرف نتيجة العجز الطبي، والآلاف من المعتقلين محرومون من العلاج والإسعافات الأولية منذ شهرين، وذلك بسبب عدم توفر الطاقم الطبي، ولذلك اللجنة تطالب بتوفير سيارة إسعاف وطبيب دائم الحضور في المعتقل".<sup>(١٩)</sup>

الوضعية الصحية للمعتقل عرفت تسجيل نقائص من طرف بعثة الصليب الأحمر الدولي التي زارت معتقل الجرف سنة ١٩٥٦م، تمثلت في عدم كفاية زيارات الفحص التي يقوم بها الطبيب المتعاقد مرتين في الأسبوع، واقترحت أن تكون ثلاث مرات أسبوعيًا، وأشارت إلى ضرورة توفير التدفئة للعيادة، وأبدت عدم ارتياحها لعدم ملائمة الممرضين للعمل في العيادة كونهم معتقلين، واقترحت بدلاً من ذلك توظيف ممرضين عن طريق التعاقد، أو تسريحهم والتعاقد معهم للعمل في عيادة المعتقل.<sup>(٢٠)</sup> أما عن المياه المخصصة للشرب، فقد كانت يؤتى بها في صهاريج من أماكن بعيدة عن معتقل الجرف، وتوزع على المعتقلين بكميات قليلة، وتتميز بالملوحة، التي سببت صعوبات صحية للمعتقلين.<sup>(٢١)</sup>

### (٥) جوانب من يوميات المعتقلين

تميزت حياة الأفراد اليومية داخل المعتقل بالاختلاف والتنوع حسب مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية، ففهم من كان متفاناً مستغلاً لفترة الاعتقال في الأشياء المفيدة، وفهم من كان هائماً على وجهه داخل المعتقل يائساً خاملاً. فالبعض من المعتقلين سخرتهم إدارة المعتقل للعمل في مختلف ورشات المعتقل خاصة إقامة وتركيب الأسلاك المعدنية المحيطة بالمعتقل، وحفر الخنادق لاتخاذها مراحيض، والبعض الآخر في المطبخ ومصلحة النظافة العامة للمعتقل.<sup>(٢٢)</sup> وأما عن أغلب المعتقلين، فقد كانوا يقضون يومهم في الاستماع إلى الدروس باختلاف أنواعها التي كان يسهر على تقديمها نخبة من الأساتذة، والمعلمين، والمثقفين، والسياسيين، وممارسة الرياضة، والتنقل بين الغرف والأجنحة لتبادل الأحاديث، وهناك فريق من المعتقلين كرس وقته للعب واللهو.<sup>(٢٣)</sup>

يثير حفيظة المعتقلين وهدوئهم، ويمكن أن يؤدي بتصرفاته إلى أسوء الأمور، وقد أدت تلك التقارير إلى نقله من معتقل الجرف، وبذلك تخلص المعتقلون من كابوس كان جائماً على صدورهم.<sup>(١٥)</sup> لقد استطاع المعتقلون من خلال مطالبهم المستمرة الحصول على بعض الحقوق التي يتضمنها النظام الداخلي للمعتقل، حيث ينص على تشكيل مندوبية للمعتقلين تمثلهم لدى إدارة المعتقل وتكون قناة اتصال بين الإدارة والمعتقل، ويتولى المعتقلون تسيير حياتهم اليومية مثل التكفل بالطبخ والدكان، وقراءة الجرائد، واستقبال الزيارات، والرياضة، وتخصيص حصص للتعليم، ويمنع دخول الجنود المكلفون بالحراسة إلى الأجنحة المخصصة للمعتقلين، ونفس الإجراء ينطبق على الممرنين النفسانيين، وتتولى مندوبية المعتقلين أيضاً استلام البريد وتوزيعه.<sup>(١٦)</sup>

### (٣) نظام الأكل

أما عن الأكل فلم يكن مناسباً تماماً وريئاً وتسبب في مضاعفات صحية للمعتقلين خاصة ضعاف الأجساد منهم وكبار السن، فالتموين بالأكل تكفلت به شركة "فونزالس" (GOUNZALES) طبقاً لاتفاقية بينها وبين بلدية المسيلة المختلطة، التي علمها أن توفر لكل فرد وجبة صباحية تتكون من ربع لتر من الحساء يوميًا و(١٥٠) غرام من الخبز، ونفس الكمية من اللحم، وفي المساء تمنح لهم قطعة مكورة من الغرس (التمر)، وحبتين أو ثلاث من الطماطم وبصلة واحدة.<sup>(١٧)</sup> وبعد شكاوى المعتقلين إلى مدير المعتقل، وإلى رئيس بلدية المسيلة حول الوجبات الغذائية ونوعية الأكل، سمحت لهم إدارة المعتقل بالمشاركة في إعداد الطعام ومراقبته واختيار من يقوم بأعمال الطبخ، أما الإدارة فتتكفل بتوفير المواد الغذائية، ورغم ذلك، فقد كانت تقع حالات تسمم غذائي بين المعتقلين متفاوتة الخطورة نتيجة استعمال وتناول المواد الغذائية الفاسدة مثل الكسكس، والطماطم التي كان يؤتى بها في علب مصبرة ذات حجم كبير.

وتفيد الوثائق الأرشيفية بوجود حالات للتسمم، فالطبيب المناوب المتعاقد مع معتقل الجرف يشير في تقريره بتاريخ (٩ أكتوبر ١٩٥٩م) بإصابة مائة فرد بالتسمم، يوجد عشرة منهم في حالة خطيرة، بسبب تناولهم للكسكس الفاسد. بينما يخبر مدير المعتقل السلطات الوصية بوجود ثلاثين فرد تسمموا غذائياً. بينما يدلي أحد المعتقلين حول هذه الحادثة بوجود وفيات بين المعتقلين بسبب التسمم الغذائي.<sup>(١٨)</sup> ويلاحظ أن؛ تقرير المدير إلى السلطات الوصية جاء بعد أسبوع من وقوع حالات التسمم، وأن عدد المصابين ليس هو العدد الذي ذكره الطبيب، ويبدو من خلال هذا أن المدير أراد أن يقلل من عدد الإصابات حتى لا تظهر الحادثة كأنها كارثة، تستوجب التحقيق.

## الهوامش:

(١) خميسي سعدي: الجرف من قرية زراعية إلى قرية استعمارية. منشورات مديرية المجاهدين لولاية المسيلة. الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٨.

(2) Vidal-Naquet: Pierre Vidal-Naquet: La raison d'Etat, Texte publiés, par le comité Maurice Audin, Les éditions de minuit, Paris, France, 1961, Pp.305, 311.

(3) J.O R F, Débat parlementaires, Année 1961-196, 09/11/1961, N°82 p. 4009.

(٤) المجاهد. عدد (١٩)، بتاريخ ٠١/٠٣/١٩٥٨، ص ٨. صحيفة لسان حال جبهة التحرير الوطني كانت تصدر في تونس، وانظر أيضًا: الطيب بن نادر: الجزائر حضارة وتاريخ الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٣١٩. وانظر كذلك: شهادة عبدالله حفظ الله في بيته يوم: ٢٠١٠/٠٢/١٧.

(٥) بخصوص لباس المعتقلين تشير اتفاقية جنيف الرابعة في المادة (٩٠) أنه يجب على الدولة المعتقلة أن توفر للمعتقلين إمكانية الحصول على الملابس والأحذية. وإذا لم يكن بحوزة المعتقلين ملابس كافية لمواجهة برودة الجو وجب على الدولة المعتقلة أن تزودهم بالملابس مجانًا. انظر: شريف عتلم، ومحمد ماهر عبد الواحد: موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الانساني النصوص الرسمية للاتفاقيات والدول المصدقة والموقعة، ط٦، بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة، مصر، ٢٠٠٥، ص ٢٢١. ومن جهة أخرى: فقد عثرنا في أرشيف ولاية المسيلة على عدة فواتير معدة للمخالصة مقابل الألبسة التي تم اقتنائها من طرف إدارة المعتقل لفائدة المعتقلين، هذه الألبسة لم تسلم للمعتقلين ولكنها وضعت بمخزن المعتقل، بالإضافة إلى أن مختلف الشهادات تنفي استلام المعتقلين للألبسة. انظر:

A.C.M.M (Archive Commune Mixte De M'sila): Boite N°98 Dossier N° 01.

ومن جهة أخرى: فقد راسل مدير المعتقل الحاكم العام بتاريخ ١٩٥٦/٠١/٠٦ حول الوضعية العامة للمعتقلين ووصفها بأنها مزرية ولا تحرف فرنسا وبخجل أن يكون فرنسيًا. انظر:

Denise et Robert Barrat: Livre blanc sur la répression en Algérie, Textes et document réunis, préface de Pierre Vidal-Naquet, Postface Daho Djerbal, Edition barzakh, Alger, 2001.

(٦) المجاهد: المصدر السابق، ص ٨.

(٧) نفسه، ص ٨، وأيضًا:

Denise et Robert Barrat: op.cit., p. 43.

(٨) شهادة عبد الله حفظ الله في بيته يوم ١٧/٠٢/٢٠١٠.

(٩) المجاهد: المصدر السابق، ص ٨، وأيضًا:

Denise et Robert Barrat: op.cit., p. 43.

(١٠) احسن بن بلقاسم كافي: نزول المعتقلات (١٩٥٥-١٩٦٢)، دار الوليد، الجزائر، (بدون تاريخ)، ص ٢٣.

(11) Hafid Keramane: La pacification livre noire de six années de guerre en Algérie, La cité éditeur, Lausanne, 1960, p. 55.

(12) Hafid Keramane: Op cit, p56.

(١٣) احسن بن بلقاسم كافي: المصدر السابق، ص ٢٣.

(١٤) قام رئيس بلدية المسيلة بإرسال برقية إلى رئيس دائرة برج بوعريج، وإلى والي سطيف يطلب من خلالها تحويل ضابط الشرطة المساعد "فالانغا" وتعويضه للأسباب التالية: له أكثر من عام في الجرف، قاس وفضت تسبب في إثارة جو من الاستياء والتذمر وسط المعتقل، لا يحترم السلطات المدنية السلمية. انظر:

A.C.M.M (Archive Commune Mixte De M'sila): Boite N° 99 Dossier N° 4 ( Télégramme du 12/09/1956 N°102).

ويستشف من بعض المقطوعات الشعرية للشاعر محمد الشبوكي،<sup>(٢٤)</sup> التي نظمها في الجرف حول الحالة العامة للمعتقلين بأنهم كانوا يتمتعون بالوحدة والإرادة والأمل، وفي ذلك يقول:

نحن في الجرف أمة  
عمها جور دولة  
ضدها ثار كلنا  
يا لها الله ثورة  
وحد الظلم بينها  
قرب الله حينها  
كلنا رام بينها  
ردد الدهر لحنها

ورغم ما هم فيه فقد كانوا يتمتعون بالاستماع لعزف العازف على آلة العود الذي كان يشنف أسماعهم بين الفينة والأخرى، وفي ذلك يقول الشاعر محمد الشبوكي:<sup>(٢٥)</sup>

نقرات العود من كف رشيد  
قلت والأوتار في أنمله  
أيها الفنان زدني إنني  
تبعت النشوة في القلب العميد  
تتشاكى جفوة الدهر العنيد  
لأئين العود ذو شوق شديد

## خاتمة

وخلاصة القول: أن إدارة الاحتلال استغلت كل المواقع التي كانت تحت تصرفها لتجعل منها مراكز للتعذيب أو إقامة معتقلات، وجعلت المعتقلين تحت تصرف رؤساء البلديات والمقاولين لاستغلالهم في ورشات العمل كأجراء بـأبخس الأجر. كما أن موقع الجرف لم يكن اختياره اعتباطيًا بل روعي في ذلك الشروط المناخية حتى تكون أحد وسائل التعذيب النفسي، فالكثير من الناس خاصة كبار السن لم يتحملوا حرارة الصيف المرتفعة، ولم يسلموا من زحف العقارب والثعابين، وفي فصل الشتاء برد قارس وجليد يومي أترا على صحة الأفراد المصابين بمرض السل. لكن لم يستسلم المعتقلون لمخططات الإدارة فكانوا لها بالمرصاد، خاصة وجود مناضلين قدماء في صفوف المعتقلين الذين عملوا على توحيد المعتقلين، وتكوينهم سياسيًا، وتبليغهم تجارب الحياة النضالية حتى يتمكنوا من تجاوز المحنة التي هم فيها.

(١٥) تشير بعض المراجع الفرنسية حول النظام الداخلي للمعتقلات أنه جاء نتيجة للتقرير الذي رفعه المفتش سيوزي (Siosi) إلى الحاكم العام جاك سوستال، حيث ضمنه النقائص الموجودة في المعتقلات التي أقامتها فرنسا. انظر:

Sylvie Thénault: Une drole de justice les magistrats dans la guerre d'Algérie, Préface de Jean-Jacques Beeker, Postface de Pierre Vidal-Naquet, edition La Découverte, Paris, France, 2004. p35, 37.

ومن جهة أخرى؛ فقد أشار احسن بن بلقاسم كافي في كتابه "نزىل المعتقلات" ص ١٣، ١٤ أن النظام الداخلي للمعتقل جاء نتيجة نضال المعتقلين الذين لم يتوقفوا عن كتابة الرسائل والعرائض والإضراب عن الطعام خاصة المناضيل مسعود بوقادوم. ونفس الرأي أدلى به محمد زيتوني في شهادته حول معتقل الجرف يوم ٠٧ / ١١ / ٢٠٠٩ في بيته، بأن نضال المعتقلين هو الذي دفع بالإدارة الفرنسية إلى منحهم الحقوق.

(١٦) المجاهد، عدد (١٩)، بتاريخ ٠٣/٠١/١٩٥٨، ص ٨. وانظر أيضاً:

Denise et Robert Barrat: op cit Pp. 31,36.

(١٧) الطيب بن نادر: المصدر السابق، ص ٣١٩. وانظر أيضاً:

A.C.M.M (Archive Commune Mixte De M'sila): Boite N° 257 Dossier N°01 (Rapport médicale datée le 09/10/1959, rapport de directeur du camp le 15/10/1959).

(18) A.C.M.M (Archive Commune Mixte De M'sila): Boite N° 257 Dossier N° 1 (Lettre de 23/09/1959 N°1855).

(19) A.C.M.M (Archive Commune Mixte De M'sila): Boite N° 257 Dossier N° 1 (Lettre de 19/11/1956 N°4155).

(٢٠) عبد المجيد غطاس: من رحلة العذاب بين السجون الاستعمارية، مجلة أول نوفمبر، العددان (١٥٧ / ١٥٨)، سنة ١٩٩٧، تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين في الجزائر، ص ٧.

(٢١) المجاهد، عدد (١٩)، بتاريخ ٠٣/٠١/١٩٥٨، ص ٨. وانظر: احسن بن بلقاسم كافي: المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٦. وانظر كذلك: الطيب بن نادر: المصدر السابق، ص ٣١٦، ٣١٩.

(٢٢) المجاهد: المصدر السابق، ص ٨.

(٢٣) محمد الشبوكي: شاعر من شعراء الجزائر، ولد سنة ١٩١٦ في الشريعة ولاية تبسة، وتوفي سنة ٢٠٠٥، حائز على شهادة التحصيل من جامع الزيتونة التونسي سنة ١٩٤٢، عضو إداري في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انخرط في ثورة التحرير الوطني منذ سنة ١٩٥٥ بصفته عضواً في جبهة التحرير الوطني، التي عليه القبض في شهر فبراير سنة ١٩٥٦، واعتقل في تبسة ثم حول إلى مدينة قسنطينة ومنها إلى معتقل الجرف الذي بقي فيه خمسة أشهر، وبعد ذلك حول إلى عدة معتقلات منها: سان لو، بوسوي، لودي. ألف عدة قصائد شعرية لتخليد وتمجيد الثورة الجزائرية وحث الناس على اعتناقها ومن أشهر قصائده: ( جزائرنا يا بلاد الجدود\*\*\* نهضنا نحطم عنك القيود). للاطلاع على حياة محمد الشبوكي انظر: عبد الله منقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢٤) محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، المجموعة الأولى، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (ب.ت)، ص ٤٢.

(٢٥) محمد الشبوكي: المصدر نفسه، ص ٢٠١.